تطريز

مسألة في رجلين

قال أحدهما للآخر: ما مذهبك؟

تصنيف شيخ الإسلام
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية
المتوفى سنة (٧٢٨) رحمه الله تعالى



منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور
صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين



النسخة الأولى




تَطْرِيزُ

مَسْأَلَةٌ فِي رَجُلَيْنِ

قَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: مَا مَذْهَبُكَ؟







سلسلة شروح وتطريزات فضيلة الشيخ (١٥٥)

تطريز

مسألة في رجلين

قَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: مَا مَذْهَبُكَ؟

تصنيف شيخ الإسلام

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

المتوفى سنة (٧٢٨) رحمه الله تعالى

مَنقُولٌ مِنَ التَّسجيلِ الصَّوتيِّ لِلشَّيخِ الدُّكتُورِ

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين



النسخة الأولى






بسم الله الرحمن الرحيم

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يُرجىٰ المراسلة علىٰ البريد التالي: Abdellahdj24@gmail.com







الحمد لله ربِّنا، وأشــهد ألَّا إله إلا الله وحدَه لا شــريك له، وأشــهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعدُ:

فهذا هو (**الدَّرس الخامس والعشــرون**) من (**برنامج الدَّرس الواحد التَّاســع**)، والكتاب المقروء فيه هو «**مســألةٌ في رَجُلين**»، لشــيخ الإســلام أبي العبَّاس ابن تيميَّةَ الحفيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

وقبل الشُّروع في إقرائه لا بدَّ من ذكر مقدِّمتين اثنتين:







المُقَدِّمَةُ الأولَى: التَّعْرِيفُ بالمُصَنِّف

وتنتظمُ فِي ثلاثة مقاصدَ:

- **المقصد الأوَّل: جَرُّ نَسَبِه:**

هو الشَّيخ العلَّامة أحمدُ بن عبد الحليم بنِ عبد السَّلام النُّمَيرِيُّ الحَرَّانِيُّ الحنبليُّ، يُكنَى بـ (أبي العبَّاس)، ويُعرَف بـ (شيخ الإسلام)، وبـ (ابن تيميَّةَ)؛ نسبةً إلى جدَّةٍ له، وبـ (تقيِّ الدِّين)؛ وبه اشتَهر في كُتب فقهاء الحنابلة؛ فإنَّهم إذا قالوا: (قال تقيُّ الدِّين) فمُرادهم به: شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكان يَكره هذا الاسم ويقول: (إنَّ أهلي سمَّوني به صغيرًا) أي فغَلب عليه.

- **المقصد الثَّانِي: تاريخ مولده:**

وُلِد في العاشر مِن ربيعٍ الأوَّل، سنة إحدى وستِّين وستِّمائةٍ (٦٦١).

- **المقصد الثَّالث: تاريخ وفاته:**

تُوفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العشرين مِن ذِي القَعدة، سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائةٍ (٧٢٨)، وله من العُمر سبعٌ وستُّون سنةً (٦٧)؛ فرَحمه الله رحمةً واسعةً.









المُقدِّمةُ الثَّانيةُ: التّعرِيفُ بالمُصنَّف

وتنتظم في ثلاثة مقاصدَ أيضًا:

- **المقصد الأوَّل: تحقيق عنوانِه:**

أُثبِت على طُرَّة النُّسخة الخطِّيَّة لهذا الكتاب: «مسألةٌ في رجلين قال أحدهما للآخر: ما مذهبك؟»، وكأنَّه مِن وضع ناسخ الأصل.

ورسائل شيخ الإسلام مِن هذا الجنس كثيرةٌ؛ فإنَّه كان يكتب مسألةً، ثمَّ تسير بها الرُّكبان، ويضع لها ناسخوها ما يدلُّ على مضمونها بحسب ما يُقدِّرونه.

- **المقصد الثَّاني: بيان موضوعه:**

موضوع هذا الكتاب: في بيان أنَّ القرآن كلام الله، والرَّدِّ على مَن اعتقد خلافه.

المقصد الثَّالث: توضيحُ منهجه:

تقدَّم غيرَ مرَّةٍ أنَّ المسائل الَّتي دُوِّنت عن أبي العبَّاس ابن تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ظَهر فيها قوَّة عِلمه، وسِعة اطِّلاعه، وحُسن فَهمه، مع كثرة الدَّلائل، وحُسن سياق المسائل.

وهذه الرِّسالة منسوجةٌ على هذا المِنوال؛ وقد وقعت جوابًا لسؤالٍ رُفِع إليه؛ فأجاب عنه بهذه الأوراق.

وتابَع كلامه دون ما يُشير إلى تمييز مقاصدِه مِن فصولٍ أو أبوابٍ، إلَّا ترجمةً وحيدةً في آخرِه قال فيها: (فصلٌ).







سُئِل شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم.

وبه نستعين

وصلَّى الله على المرسلين.

ما تقول السَّادة العلماء وأئمَّة الدِّين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في رجلٍ قال له شخصٌ: يا فلان؛ ما مذهبك؟ قال: شافعيُّ المذهب.

فقال له ذلك الشَّخص: بل أنت حنبليٌّ.

قال: فلِمَ؟!

قال: لأنَّك تعتقد اعتقاد الحنابلة، وتزعم أنَّ القرآن كلام الله.

فقال له: فكلام مَن هذا القرآنُ؟

فقال: يصلح أن يكون كلام جبريلَ.

وقيل له: أنت تقول: القرآن كلام جبريل؟

فقال: أيُّ قرآنٍ؟

فقيل له: وللنَّاس قرآنان؟!

فقال: نعم، وقال: ومَن زَعم أنَّ هذا القرآن الَّذي يقرأه النَّاس كلام الله فهو حُلوليٌّ يقول بقول النَّصارى؛ الَّذين يقولون بحلول القديم في المُحدَث.

فهل أصاب في هذه الإطلاقات أم أخطأ؟

وهل يُستتاب منها أم لا؟

وهل يكفر إن دعا إليها وأصرَّ عليها بعد بيان الأدلَّة مِن الكتاب والسُّنَّة وإجماع

السَّلف أم لا؟

أفتونا مأجورين، وابْسُطوا لنا القول.

فأجاب الشَّيخ أبو العبَّاس أحمد ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فقال:

الحمد لله ربِّ العالمين.

كلام هذا السَّائل فيه افتراءٌ على الشَّافعيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومذهبِه، ويستحقُّ به التَّعزير البليغ بافترائه على أئمَّة المسلمين ومذاهبهم.

وفيه افتراءٌ على الله عَزَّ وَجَلَّ وكتابِه؛ يستحقُّ به أن يُستتاب، فإن تاب وأقرَّ أنَّ القرآن كلام الله وإلَّا ضُرِبت عُنقُه.

أمَّا الأوَّل: فإنَّه يقتضي أنَّ مذهب الشَّافعيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ القرآنَ ليس كلامَ الله!

وهذا افتراءٌ على الشَّافعيِّ ومذهبه، وكلُّ مَن عَرف مذهب الشَّافعيِّ عَلِم بالاضطرار أنَّ مذهبَه أنَّ القرآن كلامُ الله، ليس شيءٌ منه كلامًا لغيره.

وإن كان بعض المنتسبين إليه قال قولًا يُخالف ذلك فالشَّافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بريءٌ منه كبَراءة عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مِن الرَّافضة، وبراءة سائر الأئمَّة - مالكٍ، وأبي حنيفةَ، وأحمدَ - مِن الرَّافضة والمعتزلة والحُلوليَّة ومِن هذا القول المذكور، وإن كان مِن المنتسِبين للأئمَّة مَن يقول ببعض أقوال هؤلاء.

وهذا القول إنَّما يُضاف إلى بعض المُنتسِبين إلى أبي الحسن الأشعريِّ، والشَّافعيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان قبل الأشعريِّ، ومات رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبله بأكثرَ مِن مائة سنةٍ.

وأصحابُه العارفون بمذهبه - كالشَّيخ أبي حامدٍ الإسفراييني، إمام الطَّريقة العراقيَّة،

والشَّــيخ أبي محمَّدٍ الجُوَينيِّ، شــيخ الخُراســانيِّين، وغيرِهما - يذكرون أنَّ مذهب الشَّافعيِّ في مسألة كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو مذهب أحمدَ ابن حنبلٍ وسائر أئمَّة المسلمين، وأنَّه ليس القولَ المضافَ إلى الأشعريِّ.

ومع أنَّ الأشعريَّ لا يُطلِق القول بأنَّ القرآن كلامُ جبريلَ؛ بل يقول: (إنَّ القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ).

لكن هو صَــنَّف في الرَّدِّ على الفلاســفة والمعتزلة والرَّافضــة وغيرِهم، وانتصــر لمذهب أهل الحديث والسُّــنَّة، وانتســب إلى الإمام أحمدَ وســائر أئمَّة السُّــنَّة، وأثبت الصِّــفات الواردةَ في القرآن، وأبطل تأويل النُّفاة لها، ولم يختلف كلامُه في ذلك؛ بل جميع كُتبه المصنَّفة بعد رجوعه عن قول المعتزلة ليس فيها إلَّا هذا القول، وكذلك أئمَّة أصحابه - كالقاضي أبي بكرٍ وأمثالِه.

وفي آخِرِ مُصــنَّفاته: (فإن قال قائلٌ: قد أنكرتُم قولَ الجهميَّة، والقَدريَّة، والرَّافضــة، والحَرورِيَّة، والمُرجئة؛ فعَرِّفونا بقولكم الَّذي تقولون، ودِيانتكم الَّتي بِها تدينون.

قيل له: قولُنا الَّذي نقول به، وديانتُنا الَّتي ندين بها: التَّمسُّك بكتاب ربِّنا، وبسنَّة نبيِّنا، وما رُوِي عن الصَّــحابة والتَّابعين، وما كان يقول به أبو عبد الله أحمدُ ابن حنبلٍ قائلون، ولِما خالف قولهم مجانِبون؛ فإنَّه الإمامُ الكامل، والرَّئيس الفاضــل؛ الَّذي أبان الله به الحقَّ، وأوضــح به المنهاج، وقَمَع به بِدع المبتدعين، وزَيغ الزَّائغين، وشَــكَّ الشَّــاكِّين؛ فرحمة الله عليه مِن إمامٍ مُقدَّمٍ، وكبيرٍ مُفهَّمٍ، وعلى جميع أئمَّة المسلمين).

وذَكر جملة اعتقاده الَّذي حكاه عنه الحافظ أبو القاســم عليُّ بن عســاكر في كتاب «الذَّبِّ عنه».

وكان القاضي أبو بكر بن الطَّيِّب - مِن أَجلِّ أتباعه - يكتب أحيانًا في أجوبته: محمَّد ابن الطَّيِّب الحنبليُّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ هذا الكلام الَّذي ذُكِر في السُّؤال (فيه افتراءٌ على الشَّافعيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ومذهبه)، (وفيه افتراءٌ على الله عَزَّوَجَلَّ وكتابه)؛ **فهو افتراءٌ على جهتين:**

أحدهما: افتراءٌ على إمامٍ متبوعٍ.

والثَّاني: افتراءٌ على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فأمَّا الافتراء على الإمام المتبوع: فإنَّه (يستحقُّ به التَّعزير البليغ)؛ لأنَّ مَن افترى على أئمَّة الدِّين وشيوخ المسلمين فإنَّه يجب على وُلاة الأمر أن يُعزِّروه بقَدْر ما يرتدع به عن هذه المقالات المكذوبة الَّتي يفتريها على علماء الدِّين وأهله.

ففي مِثل هذا: التَّعزير.

وأمَّا الافتراء على الله عَزَّوَجَلَّ **وكتابه**: فإنَّه (يستحق به أن يُستتاب، فإن تاب وأقرَّ أنَّ القرآن كلام الله وإلَّا ضُرِبت عُنقه).

وإنَّما بَلَغ به ذلك - أنَّه تُضرَب عُنقُه إذا لم يَتُب وبَقِي مُصِرًّا على هذه العقيدة - لأنَّه كَفر بِما قال بزعمه أنَّ القرآنَ مخلوقٌ.

فقد صَدَح السَّلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بتكفير القائلين بأنَّ القرآن مخلوقٌ؛ كما ذَكر الطَّبرانِيُّ في كتاب «السُّنَّة»، وتَبِعه ابن القيِّم في «النُّونيَّة»: أنَّ الَّذين كَفَّروهم مِن العلماء

خمسمائة عالِمٍ.

فهؤلاء الَّـذين يزعمون أنَّ القرآن مخلوقٌ مُفتَرون على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعلى كتابه؛ فإنَّ القرآنَ كلامُ الله، وما كان مِن الله فهو صفةٌ مِن صفاته، وصفات الله عَزَّوَجَلَّ غير مخلوقةٍ.

وقد بَسَط أئمَّة الهُدى النَّقلَ عن السَّلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى في بيان سوء مقالة هؤلاء؛ كما ذَكره الآجُرِّي في «الشَّـريعة»، وابن بطَّةَ في «الإبانة»، واللَّالَكائيُّ في «شـرح أصـول اعتقاد أهل السُّنَّة».

ثمَّ شَـرع المصـنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ يُبيِّن ما يتعلَّق بدعواه أنَّ هذا هو مذهب الشَّـافعيِّ، وأنَّ الشَّـــافعيَّ يقول: إنَّ القرآن ليس كلام الله عَزَّوَجَلَّ؛ فذَكر أنَّ (هذا افتراءٌ على الشَّـــافعيِّ ومذهبه، وكلُّ مَن عَرف مذهب الشَّـافعيِّ عَلِم بالاضـطرار أنَّ مذهبَه أنَّ القرآن كلام الله، ليس شيءٌ منه كلامًا لغيره).

وهذا مُسـتفيضٌ عن الشَّـافعيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فيما نقله عنه أصـحابُه؛ كما في «ترجمة الشَّافعيِّ» لابن أبي حاتِمٍ، وكتاب «الأسماء والصِّفات» للبيهقيِّ، وغيرها مِن مصنَّفات قدماء الشَّافعيَّة.

ثمَّ ذَكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: أنَّ (بعض المنتسبين إليه قال قولًا يُخالف ذلك)، ومقالة المُنتسِـــب إلى الإمام لا يلزم أن تكون مقالةً له؛ فكم مِن مُنتسِـــبٍ إلى الأئمَّة المتبوعين وهو يُخالفهم في عقائدهم.

(فالشَّــافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بريءٌ) مِن هذه المقالة (كبَراءة عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِن الرَّافضــة، وبراءة سـائر الأئمَّة - مالكٍ، وأبي حنيفةَ، وأحمدَ - مِن الرَّافضــة والمعتزلة والحُلوليَّة

ومِن هذا القول المذكور، وإن كان مِن المنتسِبين للأئمَّة مَن يقول ببعض أقوال هؤلاء).

فإنَّ المذاهب المتبوعة - مِن الحنفيَّة، والمالكيَّة، والشَّافعيَّة، والحنبليَّة - تَسرَّب إلى أتباعها جملةٌ مِن الاعتقادات الرَّديئة، فصاروا يقولون بها وتركوا مذاهب أئمَّتهم الَّذين يَتْبعونهم في أبواب الطَّلب مِن الحلال والحرام.

ومَن أمعَن النَّظر فيما يُروَى في كُتب العقائد المُسندة - ككتاب «الشَّريعة»، وكتاب «الإبانة»، وكتاب «أصول اعتقاد أهل السُّنَّة»، وغيرها - يَقِف على كثيرٍ مِن كلام هؤلاء الأئمَّة المتبوعين، ثمَّ صار أتباعهم في الأحكام يُخالفون ذلك.

حتَّى بَلَغ الأمرُ أنَّ بعضَ مَن سَبق مِن المالكِيَّة - كابن عبد البَرِّ، وابن خُوَيز مَنداد - ذكروا براءة المالكيَّة مِن انتحال مذهب الأشعرِيَّة؛ وقد صارت المالكيَّة في عامَّة الأرض في القرون المتأخِّرة على مذهب الأشعريِّ! فتحوَّلوا عن مذهب إمامهم في أصول الدِّين وأبواب الخبر إلى خلاف ذلك.

(وهذا القول) الَّذي ذَكره السَّائل - كما ذكر المصنِّف - (إنَّما يُضاف إلى بعض المُنتسِبين إلى أبي الحسن الأشعريِّ) وهو المتكلِّم المعروف في أبواب العقائد، (والشَّافعيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان قبل الأشعريِّ، ومات رَحِمَهُ اللَّهُ قبله بأكثرَ مِن مائة سنةٍ).

(وأصحابُه) أي أصحاب الشَّافعيِّ (العارفون بمذهبه - كالشَّيخ أبي حامدٍ الإسفراييني، إمام الطَّريقة العراقيَّة، والشَّيخ أبي محمَّدٍ الجُوَينيِّ، شيخ الخُراسانيِّين، وغيرِهما - يذكرون أنَّ مذهب الشَّافعيِّ في مسألة كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو مذهب أحمدَ ابن حنبلٍ وسائر أئمَّة المسلمين، وأنَّه ليس القولَ المضافَ إلى الأشعريِّ).

وهذا يُوجَد أيضًا في كلام مَن صنَّف في العقائد مِن قدماء أصحاب الشَّافعيِّ؛

كالحُمَيديِّ، والمُزَنِيِّ، والصَّـابونِيِّ، والإسـماعيليِّ؛ فإنَّ هؤلاء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كلُّهم من الشَّافعيَّة، وليس في كتاب أحدٍ منهم نِسبةُ هذه المقالة إلى الشَّافعيِّ؛ بل هُم على عقيدة أهل السُّنَّة والحديث: أنَّ القرآن كلامُ الله عَزَّوَجَلَّ.

ثمَّ قال المصنِّف: (مع أنَّ الأشعريَّ لا يُطلِق القول بأنَّ القرآن كلامُ جبريلَ؛ بل يقول: إنَّ القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ).

ثمَّ قال: (لكن هو صَنَّف في الرَّدِّ على الفلاسفة والمعتزلة والرَّافضة وغيرِهم، وانتصر لمذهب أهل الحديث والسُّنَّة، وانتسب إلى الإمام أحمدَ وسائر أئمَّة السُّنَّة، وأثبت الصِّفات الواردةَ في القرآن، وأبطل تأويل النُّفاة لها، ولم يختلف كلامُه في ذلك؛ بل جميع كُتبه المصنَّفة بعد رجوعه عن قول المعتزلة ليس فيها إلَّا هذا القول، وكذلك أئمَّة أصحابه - كالقاضي أبي بكرٍ) يعني الباقْلَانِيَّ (وأمثاله).

وقد كان أبو الحسن الأشعريُّ في صدر زمانه مُنتسبًا إلى طريقة المعتزلة، ثمَّ انخلع مِنها ومال إلى طريقة أبي سعيد بنِ كُلَّابٍ، ثمَّ مال إلى مذهب أحمدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في العقائد وطريقة السَّلف؛ إلَّا أنَّه لم يكمُل ذلك منه؛ فبقيت فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بقايا مِن طريقة أبي سعيد ابن كُلَّابٍ.

لكنَّ كُتبه المصنَّفة في آخِر عُمره ليست على ما ينسبه إليه متأخِّرو الأشاعرة مِن التَّأويل؛ بل صرَّح في «الإبانة» و«مقالات الإسلاميِّين» و«رسالته إلى أهل الثَّغر» بخلاف ما يُنسَب إليه.

كما نقَل المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كلامًا له من (آخر مُصنَّفاته) وهو «الإبانة عن أصول الدِّيانة»؛ وفيه: أنَّه لمَّا أنكر مقالات ما ذَكر مِن الفِرَق المُخالِفة - كالجهميَّة، والقَدَريَّة -

قال – على لســـان ســـائلٍ يســـأله –: (فعَرِّفونا بقولكم الَّذي تقولون، وديانتكم الَّتي بها تدينون).

فذَكر ما يَدين به بقوله: (التَّمسُّــك بكتاب ربِّنا، وبســنَّة نبيِّنا، وما رُوِي عن الصَّــحابة والتَّابعين، وما كان يقول به أبو عبد الله أحمدُ ابن حنبلٍ قائلون، ولِما خالف قولهم مجانِبون).

وإنَّما ذَكر أحمدَ بعد ذِكر النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصَّــحابة والتَّابعين؛ لأنَّ الإمام أحمدَ قام في نُصرة عقيدة الصَّحابة والتَّابعين وأتباعهم لمَّا عَظُمت الفتنة بظهور المعتزلة في زمن المأمون؛ فنُسِــب إليه هذا المُعتقَد، لا أنَّه منفرِدٌ به، ولكن لأنَّه كان أعظمَ ناصــرٍ له.

فإنَّ زمانه لم يَخْلُ مِن جماعةٍ مِن المشــاركين له في النُّصــرة؛ بل هذا المُزَنِيُّ – أحد كبار أصحاب الشَّافعيِّ – مات في نُصرة الإمام أحمدَ وعقيدةِ أهل السُّنَّة والحديث وهو في السِّجن؛ فلم يُجِبِ المأمون إلى ما طلبَ وبقِي في السِّجن حتَّى مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

فنُصرة عقيدة أهل السُّنَّة لمَّا ظهرت المعتزلة في زمن المأمون لم تقتصر على أحمدَ، لكن كان هو أكثر مَن ســعى في ذلك وصَــبَر فيها، وكان إمامًا مُعظَّمًا عند النَّاس؛ شــاع ذِكرُه.

ثمَّ ذَكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أنَّ أصحاب أبي الحسن الأشعريِّ القُدامى ممَّن ذَكَر اعتقاده – كأبي القاســمِ (ابن عســاكر) في كتاب الذَّبِّ عن أبي الحســن الأشــعريِّ، وكـ (القاضي أبي بكر بن الطَّيِّب) الباقْلَانِيِّ – ذكروا هذا المُعتقَد.

بل بلَغ الأمر أنَّ الباقْلَانِيَّ – وهو مِن المنســوبين إليه – (يكتب أحيانًا في) بعض

(أجوبته: محمَّد بن الطَّيِّب الحنبليُّ)، ولا يريد بذلك المذهبَ الفروعيَّ؛ بل يريد بذلك المُعتقَد؛ لأنَّه كان شافعيَّ المذهب.

وكثيرٌ مِن الحنفيَّة والمالكيَّة والشَّافعيَّة كانوا يكتبون: (الحنبليُّ)؛ يشيرون بذلك إلى المُعتقَد، مع كَونِهم في الأحكام وباب الطَّلب ليسوا حنابلةً.

ومِن هذا: قول شيخ الإسلام الهَرويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في أبياتٍ له:

أَنَا حَنْبَلِيٌّ مَا حَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ ... فَوَصِيَّتِي لِلنَّاسِ أَنْ يَتَحَنْبَلُوا

فمُراده بذلك: في باب الاعتقاد؛ وليس مقصوده: في باب الأحكام؛ لأنَّه كان شافعيَّ المذهب.

فصار اسم (الحنبليَّة) يُراد به أهلُ السُّنَّة والجماعة في ذلك الزَّمان.



قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ومع هذا فإنَّ اعتقاد أهل السُّـنَّة ليس لأحدٍ مِن الأئمَّة به اختصـاصٌ، لا لِأحمدَ ولا للشَّـافعيِّ ولا غيرِهما؛ بل هو التَّصـديق بما جاء به الرَّسـول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن ربِّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فأهل السُّنَّة يؤمنون بما أخبر الله به ورسوله، وهذا هو أصل اعتقادهم، وإنَّما الأئمَّة مبلِّغون لذلك ومُثبِتون له ولقول مَن خالفه.

فأبو الحسن الأشعريُّ صَنَّف في الرَّدِّ على أهل البدع الكبارِ مُصنَّفاتٍ، وسَلَك في مسألة الكلام والصِّفات مَسلك أبي محمَّدٍ عبد الله بن سعيدِ بن كُلَّابٍ.

وكان ابن كُلَّابٍ قد صنَّف في إثبات الصِّفات والرَّدِّ على المعتزلة مصنَّفاتٍ، لكنَّه سَلك في إثبات حدوث العالَم طريقة المعتزلة المعروفة بـ(طريقة الأعراض)؛ المبنيَّة على امتناع دوام الحوادث.

وهذه الطَّريقة أنكرها أئمَّة السُّنَّة، وهي أصل الكلام الَّذي أنكره مالكٌ والشَّافعيُّ وأحمدُ وإسحاقُ بن راهوَيْه وغيرهم، وهو المنقول إنكارُه عن أبي حنيفةَ وأئمَّة أصحابه.

وهي الطَّريقة الَّتي استطالت بها عليهم الفلاسفة في مسألة (حدوث العالَم)؛ فإنَّهم ظنُّوا أنَّهم يُثبِتون بها حدوث العالَم؛ فعُورِضوا بأنَّها تُوجب قِدَم العالَم! وبيَّن أنَّ القول بها نَشأ مِن القول بـ(حدوث العالَم)؛ بل وبإثبات صانعٍ.

فلمَّا سلك أبو محمَّد بن كُلَّابٍ هذا المَسلك اضطرَّه التَّقسيم إلى أنْ جعلَ كلامَ الله معنًى واحدًا قائمًا بذات الله، وهو الأمر بكلِّ ما أَمر به، والخبر عن كلِّ ما أخبر به؛ إنْ

عُبِّر عنه بالعِبرانيَّة كان توراةً، وإن عُبِّر عنه بالسِّريانيَّة كان إنجيلًا، وإن عُبِّر عنه بالعربيَّة كان قرآنًا.

واتَّفق جمهور العقلاء مِن أهل السُّنَّة والبدعة على أنَّ هذا القول معلومُ الفساد بالضَّرورة.

واضطرَّه ذلك إلى أن جَعل الكلام العربيَّ مخلوقًا، وأنَّه ليس هو كلامَ الله، وأنَّ القرآن العربيَّ الَّذي نَزل به جبريلُ على محمَّدٍ ليس هو كلام الله، ولم يتكلَّم به، وإنَّما كلامُه ذلك المعنى الَّذي هو الأمر والنَّهي.

فوافَق المعتزلةَ على القول بخلق القرآن الَّذين قالوا: (إنَّه مخلوقٌ)، وأثبَتَ كلامًا قديمًا.

فبيَّن جمهور العقلاء أنَّه لا حقيقة له.

فصار بعض المنتسبين إليه يقولون: (إنَّ القرآن العربيَّ خَلقه الله في بعض الأجسام) كما قالته المعتزلة.

وبعضهم يقول: (بل هو تأليفُ جبريلَ ونَظمُه؛ فَهِم عن الله معانِيَ مجرَّدةً ثمَّ عَبَّر عنها).

فقال له مَن أراد بيان فساد هذا: فنَسبه للرَّبِّ سُبْحَانَهُ بـ(الأخرس) الَّذي في نفسه معنًى لا يمكنه التَّعبير عنه، فيجيءُ مَن فَهِم مراده فيُعبِّر عنه، لكنَّ الأخرس يُفهِم ما في نفسه بإشارته وإيمائه.

وهذا عندهم ممتنِعٌ على الرَّبِّ سُبْحَانَهُ؛ بل طريق ذلك أنْ يخلق في نفس جبريلَ عِلمًا بمُراده مِن جنس الإلهام؛ وحينئذٍ فيكون جبريلُ أُلهِم شيئًا عَبَّر عنه وجاء به إلى

محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيكون مَن ألهمه مرادَه أن يُرى بمنزلة جبريلَ الَّذي أخذ عنه محمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

بعد أن ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فيما سلف - تبرئة الشَّافعيِّ، وأنَّه يقول: (إنَّ القرآن كلام الله)، وأنَّ الأشعريَّ كان بعده بزَمنٍ، وأنَّه أيضًا يقول: (إنَّ القرآن كلام الله)، وأنَّه استقرَّ في آخِرِ عُمره على الميل إلى طريقة أهل الحديث والأثر = قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومع هذا فإنَّ اعتقاد أهل السُّنَّة ليس لأحدٍ مِن الأئمَّة به اختصاصٌ، لا لِأحمدَ ولا للشَّافعيِّ ولا غيرِهما)؛ فهذا الاعتقاد ليس منسوبًا إلى واحدٍ مِن الأئمَّة المتبوعين؛ (بل هو التَّصديق بما جاء به الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن ربِّه؛ فأهل السُّنَّة يؤمنون بما أخبر الله به)، وبما أخبر به (رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا هو أصل اعتقادهم؛ وإنَّما الأئمَّة مُبلِّغون لذلك ومُثبِتون له ولقول مَن خالَفه).

فهذه وظيفة الأئمَّة: أنَّها نقلٌ، وبلاغٌ، وبيانٌ، ولا يُنسَب إليهم شيءٌ مِن الاعتقاد على وجه الاستقلال.

ولهذا؛ ذَكر أبو العبَّاس - في مقامٍ آخرَ - أنَّ أهل السُّنَّة لا ينسبون عقائدَهم إلى أحدٍ مِن الخَلق؛ وإنَّما وقَع هذا في المبتدعة؛ كما انتسب الجهميَّة إلى الجَهمِ بن صفوانَ، والأشعريَّة إلى أبي الحسن الأشعريِّ، وأمَّا أهل السُّنَّة فإنَّهم لا ينسبون عقيدتَهم إلى أحدٍ مِن الخَلق؛ بل هذه العقيدة هي ما جاء في الكتاب والسُّنَّة.

وفَهِم ذلك الأئمَّة المرضيُّون مِن الصَّحابة والتَّابعين وأتباع التَّابعين، ثمَّ مَن وَعى هذا بعدهم إلى يومنا هذا.

ثمَّ ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أنَّ أبا الحسن الأشعريَّ (صَنَّف في الرَّدِّ على أهل البدع الكبارِ مصنَّفاتٍ، وسَلك في مسألة الكلام والصِّفات مَسلك أبي محمَّدٍ عبد الله بن سعيدِ بن كُلَّابٍ)؛ وذلك أنَّه لم يتمكَّن مِن دَرْك حقائق مذهب الإمام أحمدَ وفهمِه فهمًا صحيحًا؛ فاختلط عليه ذلك بطريقة أبي سعيد بن كُلَّابٍ.

(وكان ابن كُلَّابٍ قد صنَّف في إثبات الصِّفات والرَّدِّ على المعتزلة مصنَّفاتٍ)؛ فإنَّه تصدَّى لإبطال مقالات المعتزلة في نفي الصِّفات؛ فألَّف تآليفَ في إثبات الصِّفات والرَّدِّ عليهم.

لكنَّه وقع في غلطٍ عظيمٍ؛ وهو أنَّه لم يسلك في إثبات الصِّفات طريقةَ الأئمَّة المَرضيِّين مِن التَّعويل على التَّوقيف؛ بالاكتفاء بما في القرآن والسُّنَّة؛ فنَهج متابعةَ المُتكلِّمة في طرائقَ نَصْب الأدلَّة بالمسالك العقليَّة والكلاميَّة؛ فـ(سَلك في إثبات حدوث العالَم طريقة المعتزلة المعروفة بـ(طريقة الأعْراض)؛ المبنيَّة على امتناع دوام الحوادث)؛ وذلك أنَّهم جعلوا أوَّل ما يجب: إثباتَ الصَّانع الَّذي هو الخالِق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والخالِق لا بدَّ أن يكون قديمًا؛ وحينئذٍ لا بدَّ مِن الاستدلال على حدوث العالَم، وأنَّ المُحدِث قديمٌ، وأنَّ العالَم حادثٌ.

ثمَّ نَشَأ مِن هذا: قولُهم بـ(حدوث الأجسام).

فتسلسل مِن ذلك عندهم: القولُ بـ(أنَّ ما يَحدُث كلُّه مخلوقٌ)؛ ولذلك منعوا الصِّفاتِ الاختياريَّةَ الفعليَّةَ الَّتي مَردُّها إلى مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّهم توهَّموا أنَّه ينشأ مِن

ذلك القولُ بـ (حُلول الحوادث في الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ)؛ فإذا قيل مثلًا: (إنَّ الله يَنزل)، قالوا: (قد صـحَّحتُم الحدوث على صـفة الرَّبِّ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأنَّه يحلُّ به الحادث الَّذي لم يكن مِن قبلُ، والحادث الَّذي لم يكن مِن قبلُ معناه: تجدُّد خَلْقٍ، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خالقٌ وليس بمخلوقٍ).

ولهذا منعوا إثبات الصِّفات المتعلِّقة بالمشيئة والاختيار.

وتَبِع الأشعريُّ أبا سعيد بن كُلَّابٍ؛ فكان مُقتديًا به في هذه المسألة؛ فمَنَع الصِّفات الاختياريَّة.

(وهذه الطَّريقة) في نَصب الأدلَّة في إثبات الصِّفات (هي أصل الكلام الَّذي أنكره مالكٌ والشَّافعيُّ وأحمدُ وإسحاقُ)؛ فإنَّهم كانوا يُنكِرون عِلم الكلام الَّذي يُسلَك فيه إثبات المسائل العقديَّة بمقدِّماتٍ عقليَّةٍ جَدليَّةٍ.

وهذه (الطَّريقة) الَّتي سَلكها المعتزلة (استطالت بِها عليهم الفلاسفة في مسألة حُدوث العالَم)؛ فإنَّ المعتزلة كانت تُناصِبُ الفلاسفةَ العِدَاء وتردُّ عليهم، فاستطالت بِهذه الطَّريقة عليهم الفلاسفةُ في مسألة (حدوث العالَم)؛ فإنَّ الفلاسفةَ (ظنُّوا أنَّهم يُثبِتون بِها حدوث العالَم؛ فعُورِضوا بأنَّها تُوجِب قِدَم العالَم) كما يعتقدونه؛ فالفلاسفة تعتقد قِدَم العالَم، ورَمت بهذه البليَّة مَن نَحا هذا المَنحى مِن المعتزلة ومَن تقلَّد قولَهم؛ لأنَّهم ألزموهم بأنَّ القول بذلك يؤدِّي إلى القول بـ (قِدَم العالَم).

ثمَّ ذَكر بعد ذلك أنَّ أبا محمَّد بن كُلَّابٍ (لمَّا سلك هذا المَسلك اضطرَّه التَّقسيم إلى أنْ جعلَ كلامَ الله معنًى واحدًا قائمًا بذات الله)؛ لئلَّا يقول بـ (حلول الحوادث) - كما يزعمون -؛ لأنَّه إذا جَعل الكلام بحرفٍ وصوتٍ، وأنَّ الله تكلَّم بالتَّوراة قبل

الإنجيل، وبالإنجيل قبل القرآن = فمعنى ذلك أنَّه تجدَّد له حدوث أفرادٍ في صفة (الكلام)؛ فحينئذٍ قال: إنَّ الكلام معنًى واحدٌ قائمٌ بذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فإذا حُكِي بالعبرانيَّة صار التَّوراةَ، وإذا حُكِي بالسِّريانيَّة صار الإنجيلَ، وإذا حُكِي بالعربيَّة صار القرآنَ.

وذَكر شيخ الإسلام أنَّ (جمهور العقلاء مِن أهل السُّنَّة) متَّفقون (على أنَّ هذا القول معلوم الفساد بالضَّرورة).

(واضطرَّه ذلك إلى أن جَعل الكلامَ العربيَّ مخلوقًا)؛ فهو يقول: إنَّ الكلام الَّذي هو صفةٌ هو معنًى قائمٌ بذات الله، وما انفصل عن هذه الصِّفة - إمَّا بالسِّريانيَّة فكان إنجيلًا، أو بالعربيَّة فكان قرآنًا، أو بالعبرانيَّة فكان توراةً - فإنَّه مخلوقٌ؛ لأنَّ الصِّفة هي المعنى القائم بذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ (فوافَق المعتزلةَ على القول بخلق القرآن).

(فبيَّن جمهور العقلاء) أنَّ هذا الَّذي قاله (لا حقيقة له)؛ لأنَّ ابن كُلَّابٍ إنَّما رامَ الرَّدَّ على المعتزلة، وقد آل به مذهبُه إلى موافقتهم؛ فصار قائلًا بأنَّ (كلام الله) عَزَّوَجَلَّ:

- منه ما هو صفةٌ لله عَزَّوَجَلَّ؛ وهو القائم بالذَّات.
- ومنه ما انفصل عنه؛ وذلك الَّذي انفصل عنه مخلوقٌ؛ وهو ما عُبِّر عنه باللُّغات؛ فصار في العِبرانِيَّة توراةً، وفي السِّريانِيَّة إنجيلًا، وفي العربيَّة قرآنًا.

وأمَّا المعتزلة: فإنَّهم لم يضطربوا؛ بل قالوا: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ.

وهذا مآل مَن دَخل في هذه المسائل بعلم الكلام وقواعده المنطقِيَّة وأَقْيسَتِه العقليَّة.

ثمَّ جَرَّ ذلك (بعض المنتسبين إليه) إلى أن قالوا: (إنَّ القرآن العربيَّ خَلقه الله في بعض الأجسام، وبعضهم يقول: بل هو تأليف جبريل ونَظْمُه).

ورَدَّ عليه مَن رَدَّ بطرائقهم الَّتي ذكروها.

وممَّا ذكره المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه (قال له مَن أراد بيان فساد هذا: فنَسبه للرَّبِّ سُبْحَانَهُ بـ (الأخرس) الَّذي في نفسه معنًى لا يمكنه التَّعبير عنه، فيجيءُ مَن فَهِم مراده فيُعبِّر عنه، لكنَّ الأخرس يُفهِم ما في نفسه بإشارته وإيمائه؛ وهذا عندهم ممتنعٌ على الرَّبِّ سُبْحَانَهُ؛ بل طريق ذلك أنْ يخلق في نفس جبريلَ عِلمًا بمُراده مِن جنس الإلهام؛ وحينئذٍ فيكون جبريلُ أُلهِم شيئًا عَبَّر عنه وجاء به إلى محمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

فهو قد جَعل الله عَزَّوَجَلَّ - تعالى الله عن ذلك - بمنزلة الأخرس؛ الَّذي عنده كلامٌ يريد أن يُبيِّنه ومعنًى يروم أن يُوضِحه فلا يتمكَّن مِن ذلك؛ وإنَّما يُعبِّره لمَن يُدركه فيترجمه باللِّسان، إلَّا أنَّ الأخرسَ يجتهد في ذلك بحركته وإشارته.

وهو ممتنعٌ عنده ذلك عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ وحينئذٍ فإنَّه يقول: إنَّ جبريلَ فَهِمه مِن الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا الفَهم بأن يكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَلْهم جبريلَ كلامًا يُعبِّر به عمَّا يريد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولهذا قال ابن كُلَّابٍ: (القرآن حكايةٌ عن كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ)؛ فهو ليس كلام الله؛ وإنَّما حكايةٌ عن الكلام؛ لأنَّ الكلام الإلهيَّ صفةٌ قائمةٌ بذات الله؛ فعَبَّر عنه جبريلُ بالقرآن الكريم الَّذي أُنزل على محمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وطريق تعبير جبريل عنه: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خَلق في نَفس جبريلَ عِلمًا بمراده مِن جِنس الإلهام، فعبَّر جبريلُ عن مراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وجاء به إلى محمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا يلزم منه لازمٌ كما قال المصنِّف؛ إذ قال: (فيكون مَن ألهمه مرادَه أن يُرى بمنزلة جبريلَ الَّذي أخذ عنه محمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ فإنَّ الله قد يُلهِم مراده مَن شاء مِن

الخَلْق - كما سيأتي شواهده في كلام المصنِّف -؛ وحينئذٍ فإنَّ مَن ألهمه الله مُراده مِن الخَلْق يُرى بمنزلة جبريلَ الذي أخَذَ عنه محمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فجبريل أُلهِم القرآن فأنزله على محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والمُلهَمون - كعُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أُلهِموا عن الله عَزَّ وَجَلَّ شيئًا فأخبَروا به؛ فيكون مَن ألهمه الله شيئًا بمنزلة جبريلَ.

ولمَّا نَظر أبو الحسن الأشعريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في هذا قال: إنَّ قول ابن كُلَّابٍ: (القرآن حكايةٌ عن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ) يُفضِي إلى أنَّ هذا المخلوق المنفصِل يُحاكي كلام الله - أي يُماثِله - فيساويه؛ لأنَّ معنى **(الحكاية)**: المُماثَلة؛ فامتنَع مِن قول: (القرآن حكاية عن كلام الله)، وقال: (القرآن عبارةٌ عن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ).

فالفرقُ بين مذهب ابن كُلَّابٍ ومذهب أبي الحسن الأشعريِّ:

- **أنَّ ابنِ كُلَّاب يقول:** (القرآن حكايةٌ عن كلام الله).
- **ورأى أبو الحسن** أنَّ قوله: (حكاية) بمعنى (يُماثِل) فجعله بمنزلته، وما هو مِن الله لا يُماثِله غيرُه؛ فامتنع مِن قول: (القرآن حكايةٌ عن كلام الله)، وقال: (القرآن عبارةٌ عن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ).



قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ولهذا يقول مَن بنى على هذا الأصل - كابن عَربيٍّ -: أنا آخذ مِن المعدن الَّذي يأخذ منه المَلك الَّذي يُوحَى به إلى الرَّسول.

فقد فَرَّق اللهُ بين (الوحي) وبين (التَّكليم الخاصِّ)؛ فقال في قوله تَعَالَى: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ [النِّساء:١٦٣] إلى قوله تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النِّساء:١٦٤]؛ ففرَّق بين إيحائه إلى سائر الأنبياء وتكليمه لموسى.

وكذلك قال تَعَالَى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾ [الشُّورى:٥١].

فجعل تكليمَه للبشر ثلاثة أصنافٍ:

أحدها: الإيحاء إليهم.

والثَّاني: التَّكليم مِن وراء حجابٍ؛ كما كلَّم موسى.

والثَّالث: أن يُرسِل رسولًا فيوحي بإذنه ما يشاء.

فإن كان جبريلُ لم يأخذ القرآن عن الله إلَّا وحيًا، كان إيحاء الله بلا واسطة جبريلَ أعظمَ؛ فتكون إلهامات عمرَ بن الخطَّاب أفضلَ مِن القرآن وأعلى بدرجتين؛ لأنَّ القرآن أخَذَه محمَّدٌ عن جبريلَ، وجبريلُ عن إلهامِ الله، وعمرُ له إلهامٌ مِن الله.

وقال بعضُهم: إنَّ جبريلَ أَخذ القرآن عن اللَّوح المحفوظ؛ وعلى هذا تكون اليهود أعظمَ قدرًا عند الله مِن محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّ الله كَتب التَّوراة لموسى، وأنزلها مكتوبةً، فتَلَقَّى بنو إسرائيلَ ما في الألواح عن الله، فإن كان جبريلُ إنَّما أَخذ القرآن عن

اللَّوح صار جبريلُ كبني إسرائيلَ، وصار محمَّدٌ كمَن أَخذ كلام الله عن بني إسرائيلَ! وإذا كان هذا باطلًا وكفرًا ممَّا استلزم الباطل فهو بالباطل أَولى.

فتفريق الله بين (الإيحاء) و(التَّكليم) دليلٌ على أنَّ الله كلَّم موسى بكلامٍ سَمِعه موسى؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾[طه:١٣].

ومَن قال: الكلام مُجرَّد معنًى قائم بالنَّفس، يقول: تكليم موسى إنَّما هو خَلْقٌ لطبيعةٍ فيه؛ أدرك بها ذلك المعنى.

ثمَّ إنَّهم يقولون: إنَّ ذلك المعنى لا يَتبعَّض، فقال لهم بعض أهل العِلم: فموسى أدرك جميعَ المعنى القائم بالذَّات أو بعضَه؟!

إنْ قلتُم: (الجميع) فيكون موسى قد أدرك جميع كلام الله، وعَلِم جميع ما يَتكلَّم الله به، وكلامه يتضَّمن لكلِّ خَبَرٍ أخبر الله به؛ فيكون موسى قد عَلِم جميع ما أَخبر به الأوَّلين والآخِرين؛ وهذا معلوم الفساد بالضَّرورة.

ولو لم يكن إلَّا ما أتاه الخَضِر فإنَّ موسى لم يعلم ذلك؛ بل قال الخَضِر لمَّا نَقَرَ العصفور في البحر نَقْرةً: «ما نقَص عِلمي وعِلمُك مِن عِلم الله إلَّا كما نَقص هذا العصفور مِن هذا البحر»؛ وهذا مبسوطٌ في غير هذا الموضع.

وبالجملة: فنحن نعلم بالاضطرار مِن دين محمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ القرآن كلام الله، ليس كلامًا لغير الله، لا محمَّدٍ ولا جبريلَ ولا غيرِهما، ولكنَّ الله يُضيفه إلى هذا الرَّسول تارةً، وإلى هذا الرَّسول تارةً؛ لكونه بلَّغه وأدَّاه، لا لأنَّه أنشأه وابتدأه.

ولهذا قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠﴾[التَّكوير]؛ فالرَّسول هنا: جبريلُ.

وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١﴾[الحاقَّة]؛ فالرَّسول هنا: محمَّدٌ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولم يَقُل: (لَقولُ مَلَكٍ أو نبيٍّ)؛ بل كَفَّر مَن قال: (إنَّه قول البشر)؛ كالوليد الَّذي قال: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾[المدَّثِّر].

وقول القائل: (إنَّه قول مَلَكٍ) مِن جنس قوله: (إنَّه قول البشر)؛ كلُّ ذلك كُفرٌ.

وقد قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾[النَّحل:١٠٢]؛ فأخبر أنَّ جبريلَ نزَّله مِن الله.

كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾[الأنعام:١١٤].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢﴾[غافر].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾[فُصِّلت].

ونظائره كثيرةٌ.

قال الشَّارح وفقه الله:

بعد أن ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ أنَّ مَن ألهمَه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مرادَه يمكن أن يُرى بمنزلة جبريلَ الَّذي أَخذ عنه محمَّدٌ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على مقالة هؤلاء -، فأَخذ هذا مَن أخذه وبنى عليه (كابن عربيٍّ) صاحب «الفصوص»؛ الَّذي قال: (أنا آخذ مِن المعدن الَّذي يأخذ منه المَلك الَّذي يُوحَى به إلى الرَّسول)؛ فكأنَّه يَعُدُّ ذلك علوًّا في

الأخذ؛ لأنَّه له إلهامًا مِن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ فلا يحتاج إلى أن يكون بينه وبين الله عَزَّوَجَلَّ رسولٌ فمَلَكٌ فوقَه؛ بل هو يأخذ مباشرةً منه.

ثمَّ ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يُبطِل ذلك: بأنَّ الله (فَرَّق الله بين الوحي وبين التَّكليم الخاصِّ)؛ فـ(الإيحاء) شيءٌ، و(التَّكليم) هو مِن جملة (الإيحاء).

كما ذَكر قول الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: (﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾[النِّساء:١٦٣]) حتَّى قال: (﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[النِّساء:١٦٤]؛ ففرَّق بين إيحائه إلى سائر الأنبياء وتكليمه لموسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ).

بل قال تَعَالَىٰ مبيِّنًا ذلك فصلًا؛ قال: (﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾[الشُّورى:٥١]؛ **فجعل تكليمَه للبشر ثلاثة أصنافٍ:**

* **أحدها:** الإيحاء إليهم.
* **والثَّاني:** التَّكليم مِن وراء حجابٍ؛ كما كلَّم موسى.
* **والثَّالث:** أن يُرسل رسولًا فيوحي بإذنه ما يشاء).

وقد بَسط الكلام على هذه الأقسام الثَّلاثة ابن القيِّم في أوَّل «زاد المعاد».

(فإنْ كان جبريلُ لم يأخذ القرآن عن الله إلَّا وحيًا) أي لم يُكلِّمه الله عَزَّوَجَلَّ به (كان إيحاء الله بلا واسطةِ جبريلَ أعظم؛ فتكون إلهامات عمرَ بن الخطَّاب أفضل مِن القرآن وأعلى بدرجتين؛ لأنَّ القرآن أخذَه محمَّدٌ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن جبريلَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وجبريلُ عن إلهام الله عَزَّوَجَلَّ) له، وأمَّا إلهامات عُمرَ فإنَّها مِن الله مباشرةً.

(وقال بعضُهم: إنَّ جبريل أَخذ القرآن عن اللَّوح المحفوظ) وأنَّ الله لم يتكلَّم به،

وأنَّ جبريلَ لم يسمعه مِن الله!

(وعلى هذا تكون اليهود أعظم قَدْرًا عند الله مِن محمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ لأنَّ الله كَتب التَّوراة لموسى)؛ كما ثَبت في «صحيح مسلمٍ» أنَّ الله كَتب التَّوراة بيده، (وأنزلها مكتوبةً فتلَقَّى بنو إسـرائيلَ ما في الألواح عن الله)؛ فيكون بنو إسـرائيل أخذوا عن الألواح التي كَتَبها الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، و(جبريل إنَّما أَخذ القرآن عن اللَّوح) المحفوظ؛ فـ(صار جبريل كبني إسرائيلَ) في المرتبة، (وصار محمَّدٌ كمَن أخذ كلام الله عن بني إسرائيلَ).

(وإذا كان هذا باطلًا وكفرًا ممَّا استلزم الباطل فهو بالباطل أَولى)؛ فإنَّه يلزم المقالاتِ المتقدِّمةَ التَّسليمُ بهذه المقالات، ولا ريب في بُطلان هذه الأقوال.

ثمَّ قال المصـنِّف: (فتفريق الله بين (الإيحاء) و(التَّكليم) دليلٌ على أنَّ الله كلَّم موسى بكلامٍ سَمِعه موسى؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾[طه:١٣]).

ثمَّ قال المصـنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ: (ومَن قال: الكلام مُجرَّد معنًى قائم بالنَّفس، يقول: تكليم موسـى إنَّما هو خَلْقٌ لطبيعةٍ فيه؛ أدرك بها ذلك المعنى)، و(يقولون: إنَّ ذلك المعنى لا يَتبعَّض).

فيكون الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لم يُكلِّم موسى بكلامٍ سمعه موسى، وإنَّما خَلق فيه طبيعةً قابلةً لذلك؛ وذلك المعنى الَّذي أدركه بِهذه الطَّبيعة لا يتبعَّض.

فرُدَّ عليه بالقول بأنَّ موسـى حينئذٍ هل (أدرك جميع المعنى القائم بالذَّات أو بعضه؟).

فإن قال: نعم؛ أدرك الجميع؛ (فيكون موسـى قد أدرك جميع كلام الله، وعَلِم جميع ما يَتكلَّم الله به، وكلامه يتضَّـمن لكلِّ خَبَرٍ أخبر الله به؛ فيكون موسـى قد عَلِم جميع ما

أَخبر به الأوَّلين والآخِرين؛ وهذا معلوم الفساد بالضَّرورة).

ولو لم يكن في فساده إلَّا ما خَفِي على موسى وعَلِمه الخَضِر لكان ذلك كافيًا في بُطلان هذا القول.

ثمَّ قال: (وبالجملة: فنحن نعلم بالاضطرار مِن دين محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ القرآن كلام الله، ليس كلامًا لغير الله، لا محمَّدٍ ولا جبريلَ ولا غيرهما)؛ فقد صرَّح الله عَزَّ وَجَلَّ بذلك فقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[التَّوبة:٦].

وهذه الآية نَصٌّ قاطعٌ في أنَّ القرآن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنَّها تتعلَّق بالمُنزَّل على النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا المُنزَّل سُمِّي (كلام الله)؛ لأنَّ الله قال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:٦] أي المُنزَّل عليك؛ فدلَّ هذا على أنَّ القرآن كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليس كلام أحدٍ سواه.

وقد يُضاف هذا الكلام إلى الرَّسول المَلَكيِّ تارةً، والرَّسول البَشَريِّ تارةً أخرى.

فإضافة القرآن الكريم إلى الرَّسول وقعت على نوعين:

- **أحدهما**: إضافته إلى الرَّسول المَلَكيِّ؛ وهو جبريلُ؛ كما قال تَعَالَىٰ: (﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾[التَّكوير]).

- **والآخر**: إضافتُه إلى الرَّسول البَشريِّ؛ وهو محمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما قال تَعَالَىٰ: (﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[الحاقَّة]).

وإضافته إلى الرَّسول المَلَكيِّ تارةً، والرَّسول البَشَريِّ تارةً أخرى؛ لأجل قيامهما بتأديته وبلاغه؛ فلأجل كونهما مُبَلِّغَيْن لكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أُضيف إليهما.

ولم يُضَف إليهما على إرادة الإنشاء والابتداء؛ فليست هذه الإضافة إضافة إنشاءٍ وابتداءٍ أنَّهما أنشَئَا هذا الكلام مِن قِبَل نفسهما وابتدءاها.

ثمَّ ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ: (لم يقُل: (لَقول مَلَكٍ أو نبيٍّ))؛ وإنَّما قال: (﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ [الحاقَّة: ٤٠])؛ وهذا من أسرار التَّصريف القرآنيِّ؛ فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جاء بِهذه الكلمة في الموضعين (رسول)؛ لأنَّ الرَّسول هو المُبلِّغ، ورسالة المُبلِّغ إنَّما هي في التَّبليغ.

فلم يَقُل الله: (إنَّه لَقول مَلَكٍ كريمٍ)، ولا قال: (إنَّه لَقول نبيٍّ كريمٍ)؛ بل جاء بلَفظ (رسول)؛ للدَّلالة على أنَّ مُهمَّتهما هي البلاغ.

ثمَّ قال المصنِّف: (بل كفَّر مَن قال: (إنَّه قول البشر)؛ كالوليد الَّذي قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾ [المدثر]) فقال الله عَزَّوَجَلَّ: (﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾ [المدثر]) أي النَّار، (وقول القائل: (إنَّه قولُ مَلَكٍ) مِن جنس قوله: (إنَّه قول البشر)؛ كلُّ ذلك كفرٌ).

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: (﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢])؛ و(مِن): للابتداء.

فقوله تَعَالَىٰ في الآية: (﴿مِن رَّبِّكَ﴾ [النَّحل: ١٠٢]) أي ابتدأ هذا الكتاب مِن الله بتكلُّمه به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ووظيفة جبريلَ هي تبليغُه؛ وذلك بالنُّزول به على النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ (فأخبر أنَّ جبريلَ نزَّله مِن الله)؛ (كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤])؛ وهذه الآية فيها الإفصاح بأنَّ التَّنزيل مِن الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وكذلك في قوله تَعَالَىٰ: (﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾ [غافر])، وقوله:

(﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾[فصِّلت]، ونظائره كثيرةٌ).

وهذا معنى قول أهل السُّـــنَّة في اعتقادهم في كلام الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: (منه بدأ)؛ أي تكلَّم به حقيقةً، كما في هؤلاء الآيات؛ فـــ (مِن) في هؤلاء الآيات يُراد بها: ابتداء الكلام منه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.



قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَصْلٌ:

وأمَّا قَول القائل: (مَن زَعم أنَّ القرآن الَّذي يقرأه النَّاس كلام الله فهو حُلولِيٌّ يقول بقَول النَّصارى الَّذين يقولون بحلول القديم في الحادث)؛ فهذا يدلُّ على جهله بدين الإسلام ودين النَّصارى.

أمَّا المسلمون: فإنَّهم إذا قالوا كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التَّوبة:٦] لم يريدوا بذلك أنَّ الكلام الَّذي تكلَّم به الرَّبُّ وقام بذاته انتقل إلى القرَّاء؛ فإنَّ الانتقال ممتنِعٌ على صفات المخلوقين، فكيف على صفات الخالق؟!

والمسلمون إذا سمعوا كلام النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبلَّغوه عنه وقالوا: إنَّه قال: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»؛ كانوا مُبلِّغين لكلام النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحركاتِهم وأصواتِهم، لا بصوت النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يكن ما قام به مِن كلامه حروفه ومعانيه منتقلةً عنه ولا حالَّةً فيهم؛ فكيف يُقال: إنَّ جبريلَ سَمِع كلام الله مِن الله، وبلَّغه إلى رسوله محمَّدٍ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون شيئًا مِن كلام الله مُنتقِلًا عن ذات الله وحالًّا بجبريلَ؟! فضلًا أن ينتقل إلى البشر ويحلَّ بهم؛ بل الكلام كلام مَن قاله مُبتدئًا، لا كلام مَن قال مبلِّغًا مؤدِّيًا.

وموسى سَمع كلام الله مِن الله بلا واسطةٍ، وأمَّا المسلمون: فإنَّما سَمعوه مِن المُبلِّغين عنه، لم يسمعوه مِن الله عَزَّوَجَلَّ.

والفرق بين السَّماعين ظاهرٌ؛ هذا سماعٌ بواسطةٍ، وهذا سماعٌ بلا واسطةٍ.

كما أنَّ الشَّمس والقمر والكواكب قد يراها بطريق المباشرة، وقد يراها بواسطة ماءٍ أو مرآةٍ أو جسمٍ صقيلٍ؛ فهذه رؤيةٌ مُقيَّدةٌ بواسطةٍ، لم يُباشرها بالرُّؤية.

وكذلك السَّامع لكلام المتكلِّم مِن المُبلِّغ عنه هو سمعٌ مقيَّدٌ بواسطةٍ، لم يباشره بالسَّمع.

وإذا قيل: (رسول الله بلَّغ عن ربِّه، وحَكى عن ربِّه، وحَدَّث عن ربِّه، وروى عن ربِّه) كان صحيحًا.

وإذا قيل: (هذا حكاية القرآن) بمعنى أنَّ أحدًا يُحاكي كلام الله فيأتي مثله: فهذا باطلٌ؛ قال تَعَالَى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[الإسراء].

ومَن قال: (إنَّ المِداد الَّذي في المصاحف والأصوات المسموعة مِن القرَّاء قديمةٌ أزلِيَّةٌ) فهو ضالٌّ ضلالًا مبينًا، مُخالِفٌ لصريح المعقول والمنقول، ولم يَقُل هذا أحدٌ مِن أئمَّة المسلمين، لا أبو حنيفةَ، ولا مالكٌ، ولا الشَّافعيُّ، ولا أحمدُ، ولا جماهير أصحابهم.

كما أنَّ القول بأنَّه معنًى واحدٌ قائمٌ في الذَّات: قولٌ مخالِفٌ لصريح المعقول والمنقول؛ لم يقُلْه أحدٌ مِن أئمَّة المسلمين، ولا جماهيرِ أصحابهم.

وأمَّا مذهب النَّصارى: فإنَّ عندهم (أُقنوم الكلمة) هو جوهرٌ قائمٌ بنفسه؛ يخلق، ويرزق، ويغفر، ويرحم، وهو الإله المعبود، وهو المُتَّحد بالمسيح.

فـ(الكلمة) عندهم ليست مجرَّد صفةٍ قائمةٍ بالمتكلِّم، ولا الحلولُ عندهم حلول صفة الله في غيره؛ بل نفس المسيح عندهم إلهٌ يغفر ويرحم، ويُقيم القيامة!

فالحُلول الَّذي يقوله النَّصارى يُشبِه قول مَن يقول في بعضِ البشر: (إنَّه إلهٌ)؛ كما تقوله الغالية في الأئمَّة والشُّيوخ.

فإن كان في المسلمين مَن يقول: (إنَّه مِن القرآن فقد صار إلهًا) فهذا يقول بقول النَّصارى.

وإن لم يكن في المسلمين من يقول ذلك: فهذا تحدُّثٌ على المسلمين.

وهذه نُكتةٌ مختصرةٌ؛ إذْ كان جوابُ هذه الورقة مبسوطًا في غير هذا الموضع.

والحمد لله ربِّ العالمين.

وصلَّى الله على محمَّدٍ وسلَّم.

قَال الشَّارِحُ وفّقه الله:

عَقد المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فصلًا لإبطال مَن نَسب تلك المقالة إلى موافقة النَّصارى فيما يعتقدونه مِن (الحلول)؛ فبيَّن أنَّ المسلمين إذا قالوا كما قال الله: (﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٦]) واعتقدوا أنَّ القرآن كلام الله: فإنَّهم لا يريدون أنَّ القرآن تكلَّم به الله عَزَّوَجَلَّ ثمَّ انتقل إلى القُرَّاء بخاصِّيَّته نفسِها.

فإنَّ كلام الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بالقرآن صفةٌ إلهيَّةٌ له عَزَّوَجَلَّ، وإذا تكلَّم الله عَزَّوَجَلَّ بالقرآن، ثمَّ أُنزِل على محمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ثمَّ قرأه القُرَّاء: فليس المراد أنَّ ذلك الوصف الإلهيَّ انتقل إلى القرآن؛ (**فإنَّ الانتقال ممتنعٌ على صفات المخلوقين، فكيف**)

يقع في صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟! فإنَّ صفة المخلوق لا تنتقل منه؛ فأَولى أن تكون صفة الله لا تنتقل منه.

وكذلك (المسلمون إذا سمعوا كلام النَّبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبلَّغوه) لم يَقُم في أذهانِهم أنَّ هذا الكلام انتقَل منفصلًا مِن ذات النَّبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحلَّ بمَن بلَّغ هذا الكلام؛ فكيف يُقال أنَّ سماع جبريلَ كلام الله مِن الله وتبليغه إلى محمَّدٍ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتقالٌ عن ذات الله وحلولٌ بجبريلَ! فلمَّا بلَّغه جبريلُ انتقل منه وحلَّ بمحمَّدٍ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! ولمَّا بلَّغه النَّبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حلَّ بغيره، وهلُمَّ جرًّا إلى سلسلة الآخذين لهذا الكتاب العظيم؟!

فلا ريب أنَّ هذا المعنى لا قائلَ به مِن المسلمين.

(بل الكلام) هو (كلام مَن قاله مُبتدئًا)، ومَن بعده فإنَّما يُبلِّغه ويؤدِّيه.

وإذا قُرِئ فليس الصَّوت صوت الباري؛ بل الصَّوت صوت القاري، وذلك المسموع هو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك قال أهل العلم: (الكلام كلام الباري، والصَّوت صوت القارئ) يعني أنَّ الكلامَ نفسَه هو كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ولكنَّ المسموع منه هو صوت القارئ.

وكذلك يُقال مثله فيما كُتِب؛ فإنَّ المكتوب هو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكن ليس الحِبر والمِداد والقرطاس ممَّا يتَّصل بالصِّفة الإلهيَّة؛ بل هو مخلوقٌ.

ثمَّ بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ **الفرق بين السَّماع المباشر والسَّماع بواسطةٍ**؛ فذَكر:

- أنَّ من سمعه ممَّن تكلَّم به ابتداءً: فهذا سماعٌ بلا واسطة.
- وأمَّا مَن بلَّغه وأدَّاه: فذلك سماعٌ بواسطةٍ.

(وإذا قيل: (رسول الله بلَّغ عن ربِّه، وحَكى عن ربِّه، وحَدَّث عن ربِّه، وروى عن رَبِّه) كان صحيحًا) أي أنَّه بلَّغ عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى وأدَّى ما هو مِن كلامه عَزَّوَجَلَّ.

(وإذا قيل: (هذا حكاية القرآن) بمعنى أنَّ أحدًا يُحاكي كلام الله فيأتي مثله: فهذا باطلٌ)؛ فإنَّه لا قُدرةَ لأحدٍ على أن يُضاهيَ كلام الله أو يحاكيَه.

ومَن قال: (إنَّ المِداد الَّذي في المصاحف والأصوات المسموعة مِن القُرَّاء قديمة) الأزلِ؛ بأن يعتقد أنَّها من صفة الله عَزَّوَجَلَّ؛ فهذا (ضالٌّ ضلالًا مبينًا، ولم يَقُل هذا أحدٌ مِن أئمَّة المسلمين، لا أبو حنيفةَ، ولا مالكٌ، ولا الشَّافعيُّ، ولا أحمدُ، ولا جماهيرُ أصحابِهم).

وإنَّما نُسِب هذا إلى بعض مَن غَلط في فهم هذه المسألة؛ فاعتقد أنَّ القول بأنَّ القرآن كلام الله يطَّرد حينئذٍ بأن يقال: (إنَّ كلَّ ما تعلَّق به هو منه)؛ وهؤلاء مِن الجَهلة الَّذين لم يُفرِّقوا بين إضافة (الكلام) إلى المتكلِّم به، وبين إضافته إلى مُبلِّغه.

- فإضافته إلى المتكلِّم هي إضافة صفةٍ.
- وأمَّا إضافته إلى المُبلِّغ له فإنَّما هي إضافة تبليغٍ وتأديةٍ ليس إلَّا.

(كما أنَّ القول بأنَّه معنًى واحدٌ قائمٌ في الذَّات: قولٌ مخالِف لصريح المعقول والمنقول؛ لم يَقُله أحدٌ مِن أئمَّة المسلمين، ولا جماهير أصحابِهم).

(وأمَّا مذهب النَّصارى: فإنَّ عندهم (أُقنوم الكلمة))؛ و(**الأُقنوم**) **عندهم**: كلمةٌ وَضعوها للدَّلالة على المُتعدِّد، **ثمَّ اختلفوا في تفسيرها**:

- فقالوا: (إنَّها الصِّفات).
- وقالوا: (إنَّها الخَواصُّ).

- وقالوا غير ذلك.

ولذلك هم يزعمون أنَّهم يؤمنون بالوحدانِيَّة، لكنَّ الأقانيمَ ثلاثةٌ؛ ومنها: (أُقنوم الكلمة)؛ و(هو جوهرٌ قائمٌ بنفسه؛ يخلق، ويرزق، ويغفر، ويرحم، وهو الإله المعبود، وهو المُتَّحد بالمسيح؛ فـ(الكلمة) عندهم ليست مجرَّد صفةٍ قائمةٍ بالمتكلِّم، ولا الحلول) عندهم (حلول صفة الله في غيره).

بل عندهم أقبح مِن ذلك؛ فهُم يعتقدون أنَّ (نفسَ المسيح إلهٌ يغفر ويرحم، ويُقيم القيامة!

فالحلول الَّذي يقوله النَّصارى يُشبِه قول مَن يقول في بعض البشر: (إنَّه إلهٌ)؛ كما تقوله الغالية في الأئمَّة والشُّيوخ).

(فإن كان في المسلمين مَن يقول: إنَّه مِن القرآن فقد صار إلهًا) أي أنَّ هذا الَّذي يُسمَع أنَّه مِن القرآن، وصار بذلك مَن يُسمَع منه إلهًا: (فهذا يقول بقول النَّصارى).

(وإنْ لم يكن في المسلمين مَن يقول ذلك: فهذا تحدُّث على المسلمين).

وليس في المسلمين مَن يقول بهذا المعتقَد؛ بل جِماع عقيدة المسلمين في القرآن الكريم الَّتي دلَّ عليها الكتاب والسُّنَّة: أنَّ القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ، مُنزَّلٌ غير مخلوقٍ، منه بدأ، وإليه يعود؛ ودلائل ذلك مبسوطةٌ في محلِّها اللَّائق بها.

وكلُّ من خَرج عن طريقة الكتاب والسُّنَّة وقع في الضَّلال؛ كما ترون أنَّ هذه المذاهب المرذولة ابتدأت مِن الخروج عن الكتاب والسُّنَّة باعتقاد أدلَّةٍ تُثبَت بها الصِّفات؛ كما نَحا إليه ابن كُلَّابٍ؛ فجَرَّه ذلك إلى الوقوع في الغلط، كما جَرَّ المعتزلة فألزمهم الفلاسفة بالقول بـ(قِدَم العالَم).

وهذه الأقيسة العقلِيَّة والمسالك المنطقِيَّة هي الَّتي تُسمَّى بـ (الكلام)؛ الَّذي كان يذُمُّه السَّلف، ويُحذِّرون منه.

ولا يعرف بَركة المعتقد الصَّحيح ويُميِّز حَلاوته إلَّا مَن طالَع هذه الكُتب، أو سَمِع كلام مُعتقديها؛ فإنَّه إذا طالَع هذه الكُتب يرى فيها مِن الظُّلمة الشَّيءَ العظيمَ؛ لامتلائها بالمقالات الكلاميَّة دون الأدلَّة الشَّرعيَّة؛ فقَلَّ أن تجد فيها نَصْب الأدلَّة الشَّرعيَّة على ما يعتقده هؤلاء؛ بل جُلُّ ما يذكرونه هو بناءٌ على قياسٍ عقليٍّ أو مُقدِّماتٍ منطقِيَّة.

وأمَّا كُتب أهل السُّنَّة والحديث: فتجدها طافحةً مليئةً بدلائل القرآن والسُّنَّة.

واعتبِر هذا في قَدْر ما في «العقيدة الواسطيَّة» مِن دلائل القرآن الكريم؛ فإنَّه ذَكر فيها عددًا عظيمًا مِن الآيات القرآنيَّة مع قِلَّة أوراقها، ورُبَّما طالعت مُجلَّدًا كبيرًا ممَّا دُوِّن في عقائد المُتكلِّمين فلا تكاد تجد فيه إلَّا نزرًا يسيرًا مِن الآيات.

وأمَّا الأحاديث: فقد رَدَّها أكثر القوم وأهملوها بدعوى أنَّها أحاديثُ آحادٌ، وأنَّه لا يُحتَجُّ بها في الاعتقاد.

وهذه المقالات بدأت تُطِلُّ برأسها على أهل السُّنَّة في هذه البلاد، وابتلعها مَن ظنَّ أنَّ تلك العقائد هي عقائد جمهور المسلمين، وأنَّ العقائد الَّتي في هذه البلاد إنَّما هي العقائد التَّيميَّة الوهَّابيَّة.

وهذا مِن الجهل البليغ؛ فإنَّنا لا ندعو إلى عقيدةٍ تيميَّةٍ ولا وهَّابيَّةٍ؛ بل ندعوك إلى أن تقرأ ما صنَّفه الأقدمون في العقائد مِن كلِّ مذهبٍ مِن المذاهب المُعظَّمة؛ ككلام أبي يوسفَ الأنصاريِّ، ومحمَّد بن الحسن الشَّيبانِيِّ مِن الحنفِيَّة.

وانظر إلى كلام مالكٍ في كُتب ابن عبد البَرِّ كـ «التَّمهيد»، و«جامع بيان العِلم

وفضله».

وانظر إلى كلام الشَّافعيِّ في كتاب «آداب الشَّافعيِّ وأخباره» لابن أبي حاتمٍ، وغيره مِن أصحاب الشَّافعيِّ؛ كالمُزنيِّ، والإسماعيليِّ، والصَّابونيِّ.

وانظر إلى كلام الإمام أحمدَ في كتاب «السُّنَّة» للخَلَّال، أو «السُّنَّة» لابنه عبد الله، أو «الإبانة» لابن بطَّةَ.

ثمَّ انظر هل هذه العقائد الَّتي يدين بِها أهل هذه البلاد؛ هل هي عقائدُ تختَصُّ بهم انتحلوها عن ابن تيميَّةَ وابن عبد الوهَّاب، أم هي عقائد سنِّيَّةٌ سلفيَّةٌ؟

لكن الجهل بِهذه الأصول العظيمة هو الَّذي غَرَّ بعض الشَّباب؛ فصدَّقوا هذه المقالات!

ومرَّ معنا اليوم كلامُ الخطيب البغداديِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ الَّذي قرَّر فيه أنَّ (الكلام في الصِّفات فرعٌ عن الكلام في الذَّات)، وأكثرَ المتكلِّمين في باب العقائد إذا ذكروا هذا لا يظنُّون أنَّ أحدًا تفوَّه بها قبل ابن تيميَّةَ! ويُوجَد جماعة تكلَّموا في مثل هذا قبله؛ كالخطَّابيِّ، والخطيب البغداديِّ، وقَوَّام السُّنَّة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

لكنَّ المُكنةَ في الاعتقاد ضَعُفت عند النَّاس، والمذاهب المرذولة قام لها مَن ينصرها، مع جهل النَّاشئة بمقالات المُخالفين.

ومَن أراد أن يرسخ اعتقاده؛ فلا بدَّ أن يتعلَّم أوَّلًا اعتقاد أهل السُّنَّة كاملًا حتَّى يتقرَّر في نفسه، دون تعريجٍ على مقالات المخالفين.

فإذا استقرَّ في نفسه ذلك فليقرأ في كُتب الرَّدِّ على المُبطلين؛ حتَّى يُميِّز الحقَّ مِن الباطل، ولئلَّا يروج عليه الباطل.

فإنَّ مِن النَّاس مَن يروج عليه الباطل لجهله به، وربَّما أجاب إلى تصحيح مقالةٍ مِن المقالات ظَنًّا أنَّها موافقةٌ للحقِّ؛ لجهله ببُطلانِها؛ فهو له معرفةٌ إجماليَّةٌ بعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، فإذا جاء في التَّفصيل تجده حائرًا.

فلو قال له قائلٌ – مثلًا –: (إنَّكم تقولون: إنَّنا نؤمن بالصِّفات كما جاءت في القرآن والسُّنَّة) فسيلتزم له بذلك.

فيقول: (إنَّكم تقولون: إنَّ جميع الصِّفات ممَّا جاءت فيه الأدلَّة تُثبَت بلا تأويلٍ) فسيلتزم له بذلك؛ لأنَّه يعتقده.

ثمَّ يقول له: (فما تقول في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾[يس:٣٠]؟ فإنَّك إمَّا أن تُثبِت الحسرة لله، وإمَّا أن تؤوِّلها)!

- فربَّما بقي حائرًا.

- وربَّما قال: (نُثبِتها كما تليق بجلال الله)؛ فيكون قد قال قولًا لم يَقُل به أحدٌ مِن المسلمين.

- وربَّما قال: (نعم، نؤوِّلها)، ودعاه إلى ذلك أنَّ الحسرةَ لا تليق بالله عَزَّوَجَلَّ.

فيقول له: كما قلتَ في هذه: (إنَّها لا تليق بالله عَزَّوَجَلَّ) فكذلك أنا أقول في غيرها: (إنَّها لا تليق بذات الله عَزَّوَجَلَّ).

لكن لو كانت له معرفةٌ راسخةٌ باعتقاد أهل السُّنَّة قال: (إنَّ هذه الآية الَّتي ذكرتَها ليست مِن آيات الصِّفات، وإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لم يَقُل: (يا حسرتِي على العباد)، فلم يُضِفها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى نفسه؛ فليست آيةً مِن آيات الصِّفات.

والمقصود: أنَّه لا ينبغي أن يُعرِّض الإنسان نفسَه للفِتَن بالدُّخول في مِثل هذه

الأمور؛ بل يجب عليه أن يتمكَّن في معرفة عقيدة أهل السُّـنَّة والجماعة دون تشـويشٍ على نفسه بعقائد المخالِفين؛ حتَّى إذا خَلَّص إدراكَه لعقيدة أهل السُّـنَّة نَظر بعد ذلك في الرَّدِّ على المُبطِلين، وتَفنَّن في طُرقِه حتَّى يكون حِصنًا واقيًا لنفسِه، وحِصنًا واقيًا لأهل السُّنَّة والحديث.

وبتمام هذا الكتاب نكون بِحَمۡدِ ٱللَّهِ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قد فرغنا من خمسـة أسـداس البرنامج، وبقي سُدسٌ واحدٌ؛ فنقول:

وَإِذْ يَبْقَى مِنَ الْأَسْدَاسِ سُدْسٌ   فَلا يَنْأَى عَنَ الصَّبْرِ الْبَصِيرُ

فالبصـير العاقل ينبغي له ألَّا يُقصِّـر في الصَّـبر على إتمام هذه الدُّروس؛ أتَمها الله بخيرٍ، ونفعنا جميعًا بها في الدُّنيا والآخرة.

وهذا آخر التَّقرير على هذا الكتاب.

وبالله التَّوفيق.

وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله محمَّد وآله وصحبه أجمعين.

تمَّ إقراء الكتاب في مجلسٍ واحدٍ
بعد العشاء يوم الخميس السَّادس والعشرين من رجبٍ
سنة إحدى وثلاثين بعد الأربعمائة والألف
في جامع الإيمان بحي النَّسيم بمدينة الرِّياض













